حقيقة المساجد بأمريكا...

مسجد المركز الإسلامي بميتشجن

هي خمس أفكار مسبقة خاطئة حول المساجد بالولايات المتحدة الأمريكية طفحت إلى سطح النقاش منذ بضع سنوات، لما اندلع الحديث عن الترخيص ببناء مسجد بالقرب من مكان برجي التجارة العالميين اللذين كانا موضوع الهجمات الإرهابية المشهودة بتاريخ 11 شتنبر 2001. وهي الأفكار الخمس ذاتها التي ينبري لنسفها شاهد من أهلها.

ترجمة عبد الكريم لقمش

بلاد حديثة عهد بالمساجد

خطأ.. لقد تواجدت المساجد بأمريكا منذ المرحلة الكولونيالية، ومن المعروف أن المسجد بالنسبة للمسلمين هو أي مكان يصلح للصلاة حتى لو لم يكن بناء قائما..المهم أن يتوجه المصلي إلى القبلة باتجاه مكة، وكان أول مسجد

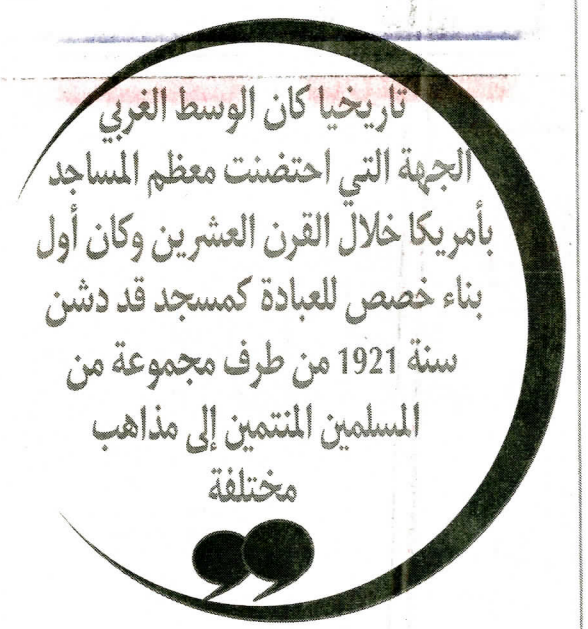

بهذا المعنى في الولايات المتحدة يعود إلى ما بين سنتي 1731 و1733 لما كان «جوب بن سليمان» وهو مملوك مسلم كان يشغل مهمة رعاية القطيع يتجه نحو الغابة المجاورة بمنطقة «كينت أيلند» لأداء الصلاة خلسة والمواظبة عليها على الرغم من تواجد أحد الأطفال البيض فوق شجرة تقع بمكان صلاته والذي كان يرميه بالقاذورات والأزبال..

تاريخيا كان الوسط الغربي الجهة التي احتضنت معظم المساجد بأمريكا خلال القرن العشرين، وكان أول بناء خصص للعبادة كمسجد قد دشن سنة 1921 من طرف مجموعة من المسلمين المنتمين إلى مذاهب مختلفة شيعية وسنية وأحمدية، وكان مؤسسه هو «محمد كاروب» وقد بناه غير بعيد عن «مصنع سيارات هايلاند بارك» المتخصص في صناعة سيارات الفورد، والذي كان يشغل المئات من المسلمين الأمريكيين. وبعد ذلك تطور الأمر بشكل تصاعدي ملحوظ حيث انتقلت المساجد إلى 100 عبر التراب الأمريكي بحلول سنة 1970، قبل أن تقفز بفعل توافد أزيد من مليون مهاجر مسلم على أمريكا إلى حوالي 2000 مكان للعبادة اليوم معظمها مساجد كما هي متعارف عليها لدى المسلمين.. و من خلال دراسة شاملة قام بها معهد غالوب، فإن حوالي 40 بالمائة من المسلمين قالوا إنهم يصلون بالمسجد على الأقل مرة واحدة في الأسبوع، وهي نفس النسبة السائدة في أوساط المسيحيين الذين يتوجهون بدورهم مرة واحدة كل أسبوع للتعبد بالكنيسة..كما كشفت الدراسة أن حوالي ثلث المسلمين قالوا إنهم لا يذهبون إلى المسجد على الإطلاق، وعلى عكس ما هو متداول في الأوساط الشعبية المسيحية فالمسجد ليس مكانا للرجال فقط إذ إن نسبة المترددات عليه من النساء قاربت الخمسين بالمائة.

المساجد تسعى إلى نشر الشريعة الإسلامية

خطأ..فالشريعة الإسلامية وعلى الرغم من كونها نظريا يجب أن تحكم تصرفات كل إنسان مسلم.. كل التصرفات، إلا أنها في الحقيقة لا تجد لها صدى أو تطبيقا في الواقع، ومعظم المسلمين الأمريكيين لا يلتزمون بحذافيرها ويعلمون أنه من المستحيل الالتزام التام بذلك..كما أن الأئمة ليس بوسعهم تلقين أو فرض مبادئ الشريعة على المسلمين الأمريكيين لأن معظمهم غير قادر على استيعاب تعقيداتها التي يعجز عن الإلمام بها حتى أفقه المتفقهين في الدين.. ناهيك عن كون المسلمين الذين يؤمون المساجد لا ينتمون جميعا إلى نفس المذهب الواحد ويمكن لأي مجازفة من الإمام في هذا الصدد أن تفقده الكثير من زبنائه المؤمنين بالمسجد..

معظم الذين يؤمون المساجد ينحدرون من الشرق الأوسط

خطأ..فحسب استطلاع قام به معهد غالوب السنة الماضية فإن السود الأمريكيين يشكلون 35 بالمائة من المسلمين وهي أكبر «إثنية دينية» تعتنق الإسلام في أمريكا، وفي المرتبة الثانية يأتي المسلمون من أصول عربية أو من جنوب آسيا (باكستان والهند) ناهيك عن المسلمين الأمريكيين البيض، والهسبانيين (الأمريكيو-لاتينيين)، ومسلمي جنوب الصحراء والإيرانيين والأوربيين وأولئك المنحدرين من آسيا الوسطى، وهو ما جعل المسلمين يشكلون الديانة التي وحدت بين أكبر عدد من الأعراق والإثنيات في أمريكا.. والمساجد في حد ذاتها تعكس هذا التنوع اللهم من تلك المساجد العرقية التي يؤمها معتنقو مذهب واحد دون غيرهم وهي قليلة على أية حال..إذ إن الإسلام الأمريكي تمكن من إحقاق ذلك التعايش المتجانس مع مختلف الأعراق والجنسيات في مكان واحد.. الغريب في الأمر أن العرب لا يسيطرون من حيث العدد إلا على مساجد نيويورك وميشيغان، وما عدا ذلك فهم لا يكادون يشكلون من بين صفوف المصلين في باقي الولايات سوى نسبة 15 بالمائة لا غير..

المساجد يتم تمويلها من طرف منظمات أو حكومات غير صديقة لأمريكا

خطأ.. فالأكيد أن بعض البلدان الصديقة كانت تمول بناء مساجد داخل الولايات المتحدة الأمريكية، ومن المعروف أن الأسرة المالكة بالسعودية وهبت سنة 1998 مبلغ 8 ملايين دولار لبناء مسجد الملك فهد بـ«كالفر سيتي» بإحدى ضواحي لوس أنجلس..بيد أن معظم المساجد المتواجدة على التراب الأمريكي جاءت بمبادرات قام بها المسلمون الأمريكيون، ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية تحبذ سياسة التمويل الداخلي لجعل مسلميها مستقلين عن أي نفوذ أجنبي..بل إنه حتى في خضم تجاذب المصالح بين المسلمين والولايات المتحدة الأمريكية إبان حرب الخليج الثانية التي اندلع أوارها سنة 1991 فإن مسلمي أمريكا التزموا أكثر بمطالبة الخزينة الأمريكية بأموال للمساعدة في بناء المساجد عوض التوجه إلى جهات خارجية وهذا يبين الحالة الكبيرة من الوعي السياسي التي يتمتع بها مسلمو أمريكا..

المسجد مدرسة الإرهابيين

خطأ.. بل على العكس من ذلك، فإن المساجد تحولت إلى أماكن عبادة أمريكية بامتياز..فإلى جانب احتضان المصلين فإن المساجد وعلى غرار الكنائس أصبحت تقدم العديد من الخدمات الأخرى كتقديم الدروس للأطفال كل نهاية أسبوع، وجمع التبرعات الإنسانية للفقراء، وتقديم الاستشارات وتأطير النشاطات المحتضنة لحوار الأديان.. صحيح أن الهجوم الأول على مركزي التجارة العالميين سنة 1993 كانت إلهاما مباشرا من خطب «عمر عبد الرحمان» الداعية الإسلامي المتطرف، والذي كان يلقي خطبه بمسجد السلام بنيوجرسي.. ولكن الآن، وبعد الحادي عشر من شتنبر اختلفت الأمور قليلا إذ تم طرد كل المتطرفين من المساجد لتحتضنهم شبكة الأنترنت هذه المرة..الخلاصة أنه لا خطر من الإسلام الأمريكي فهو إسلام أمريكي معتدل، ولكن التوجهات العنصرية الأخيرة التي طبعت التحركات المعارضة لمشاريع بناء المساجد بـ«مانهاتن» و«كوينز» و«البروكلين» من شأنها أن تقوي شوكة التطرف مجددا ومن شأنها أن تترك لدى المسلمين المعتدلين غصة في القلب، خصوصا إن تساءلوا في أنفسهم إن كان الأمريكيون يكرهون الإسلام فعلا كما ظل يردد المتطرفون على الدوام.. علينا تغيير الأوهام والبحث عن سبل للعيش المشترك ونبذ العنصرية والتطرف، فأمريكا كانت دائما مركزا للتعايش المشترك فنتمناها أن تبقى كذلك دائما..

إدوارد كورتيس.. الواشنطن بوسط